

## سورة الكهف (الآيات: 65 - 74)

19

١٩

### أهداف الدرس

- 1- أن أتعرف قواعد الصحبة وآداب التعلم من خلال قصة موسى والخضر.
- 2- أن أسلم للأحكام الشرعية وإن غاب عني إدراك الحكمة فيها.
- 3- أن أقتدي بموسى عليه السلام في الصبر على مشاق طلب العلم، والتأدب مع المعلم.

### تمهيد

بعد أن قصت الآيات المتقدمة خبر عثور موسى -عليه السلام - وغلامه على الخضر بمجمع البحرين، والأمانة التي قادتهم إلى ذلك، جاءت هذه الآيات بعدها لتقص علينا طلب موسى من الخضر صحبته.

فما هدف موسى من صحبة الخضر؟ وما شرط الخضر في الصحبة؟ وما موقف موسى مع هذا الشرط عند أول اختبار؟ وما الآداب التي يمكن استفادتها من هذه الآيات في علاقة المتعلم بالمعلم؟

### الآيات

قال الله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى اقْبَلْ أَتَبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ بِي مَا عَلَّمْتَنِي؟ قَالَ إِنَّكَ لَتَتَّبِعُنِي وَمَعِيَ صَبْرٌ ۖ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِصْ بِهِ، خُبْرًا ۖ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَأَمْرًا ۖ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُخْبِرَ ۖ لَمْ يَنْهَ عَنْهُ ۚ كَرًّا ۖ فَانْهَلَفَا ۚ فَاتَّبَعَتْهُ إِتِافًا ۖ فِي السَّيِّئَةِ خَرَفَا ۚ قَالَ أَخْرَفْتُمَا ۚ

لَتَغْرَقَ أُنْفُلَهُمَا لَفْذٌ جِئْتَ شَيْئاً أَمْراً ﴿٧٠﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَتَشْتَكِيْعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ لَا تَأْخُذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُزِغْنِي مِىْ أَمْرِىْ عُسْرًا ﴿٧٢﴾ [الكهف: 65 - 72].

### الفهم

#### الشرح:

يُكْرَأُ: تفسيراً وتوضيحاً.

إَمْراً: منكراً وفظيماً.

تَأْخُذْنِي: تؤنّبني وتعاقبني.

تُزِغْنِي: تكلفني وتجشمني.

عُسْرًا: مشقة وضيقاً.

#### استخلاص مضامين الآيات:

- 1- ماذا طلب موسى -عليه السلام - من الخضر؟
- 2- ما شرط الخضر في الصحبة؟
- 3- ما أول اختبار مر به موسى - عليه السلام - عندما صحب الخضر؟

### التفسير

اشتملت هذه الآيات على ما يأتي:

#### أولاً: تواضع موسى عليه السلام وتأدبه مع الخضر:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى اقْلَبْ عَلَيَّ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾، هذه مخاطبة المستنزل المبالغ في حسن الأدب، والمعنى: هل يتفق لك ويخف عليك؟ وهو كقول الحواريين لعيسى - عليه السلام - : ﴿قُلْ يَسْتَكْبِهُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً﴾ [المائدة: 114] على بعض التأويلات.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: «وفي هذه الآية دليل على أن المتعلم تبع للعالم وإن تفاوتت المراتب». [الجامع لأحكام القرآن: 3 / 240].

وقوله: ﴿قَلَّ اتَّبَعُوا﴾ خرج عن الاستفهام إلى الطلب والعرض المؤكد والتحضيض، والتاء فيه تاء الافتعال، أدغمت في التاء الأصلية في «تبع»، وقد جيء بها للمبالغة في الفعل، ولم يقل: «أتبعك» بالتخفيف وسكون التاء؛ لأنه لا يدل على كمال الرغبة.

وقوله: ﴿عَلَّمَ أَنْ تَعْلَمَ، مِمَّا عَلِمْتَ رُشْدًا﴾، أثبت أولاً كونه تبعاً له ثم طلب ثانياً أن يعلمه، وهذا منه ابتداءً بالخدمة، ثم في المرتبة الثانية طلب منه التعليم.

وقرأ ابن كثير ونافع والكوفيون ﴿رُشْدًا﴾ بضم الراء وسكون الشين، وقرأ أبو عمرو «رَشْدًا» بفتح الراء والشين. والرُّشد والرَّشد لغتان، كالبُخل والبَخْل، والعُجم والعَجَم، والعُرب والعَرَب. ونصبه على وجهين: أحدهما: أن يكون مفعولاً ثانياً لـ ﴿تَعْلَمَ﴾، والثاني: أن يكون حالاً من الضمير في قوله: ﴿اتَّبَعُوا﴾.

وقوله: ﴿رُشْدًا﴾ يحتتم وجهين: أحدهما: أن يكون الرشد راجعاً إلى الخضر، أي: مما علمك الله وأرشدك به. والثاني: أن يرجع ذلك إلى موسى، ويكون المعنى: على أن تعلمني وترشدني مما علمت. والياء في ﴿تَعْلَمَ﴾ من الزوائد المحذوفة رسماً.

وفي صحيح البخاري أن موسى سلم على الخضر وقال له: «أنا موسى». قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم. قال: فما شأنك؟ قال: جئت لتعلمني مما علمت رشداً. قال: أما يكفيك أن التوراة بيديك؟ وأن الوحي يأتيك؟ ياموسى، إن لي علماً لا ينبغي لك أن تعلمه، وإن لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه». [صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن - سورة الكهف - باب قوله: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ...﴾، حديث 4449].

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَتَتَّبَعَنِي مَعَ صَبْرٍ ۖ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا أَلْقَى بِكَ، خُبْرًا﴾ أي: إنك يا موسى لا تطيق أن تصبر على ما تراه من علمي، لأن الظواهر التي هي علمك لا تعطيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تخبر بوجه الحكمة فيه، ولا طريق الصواب. «وذلك أني أعمل بباطن علم علمنيه الله، ولا علم لك إلا بظاهر من الأمور، فلا تصبر على ما ترى من الأفعال». [جامع البيان: 9 / 283].

## ثانياً: من مظاهر التأدب: لزوم الصبر وتمام الموافقة:

قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَأَمْرًا﴾ أي: سأصبر إن شاء الله، ملزماً نفسي طاعتك.

قال القرطبي رحمه الله: «وقد اختلف في الاستثناء، هل هو يشمل قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَأَمْرًا﴾ أم لا؟ فقيل: يشمل... وقيل: استثنى في الصبر فصبر، وما استثنى في قوله: ﴿وَلَا أَعْصِي لَأَمْرًا﴾ فاعترض وسأل. قال علماؤنا: إنما كان ذلك منه لأن الصبر أمر مستقبل، ولا يدرى كيف يكون حاله فيه، ونفي المعصية معزوم عليه حاصل في الحال، فالاستثناء فيه ينافي العزم عليه». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 14].

قال أبو حيان رحمه الله: «﴿وَلَا أَعْصِي﴾ يحتمل أن يكون معطوفاً على ﴿صَابِرًا﴾، أي: صابراً وغير عاص، فيكون في موضع نصب، عطف الفعل على الاسم إذ كان في معناه، كقوله: ﴿صَأْقَلْتِ وَيَغْفِرُ﴾ [الملك: 20] أي: وقابضات، ويجوز أن يكون معطوفاً على ﴿سَتَجِدُنِي﴾ فلا محل له من الإعراب، ولا يكون مقيداً بالمشيئة لفظاً». [البحر المحيط: 7 / 205].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَرِشٍ حَتَّى أَتُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، أي: لا تسألني عن شيء مما أفعله ﴿حَتَّى أَتُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى أكون أنا الذي أبينه لك؛ لأن علمه قد غاب عنك. قال أبو حيان رحمه الله: «﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي﴾ أي: إذا رأيت مني شيئاً خفي عليك وجهه صحته، فأنكرت في نفسك، فلا تفتأ تحني بالسؤال حتى أكون أنا الفاتح عليك، وهذا من أدب المتعلم مع العالم المتبوع». [البحر المحيط: 7 / 206].

## ثالثاً: الاختبار الأول لصبر موسى والتزامه بالشرط:

قال تعالى: ﴿فَإِنْ هَلَفَا لَقَمْتُنِي إِذْ أَرْكَبَا فِي السَّيْفَةِ خَرَقًا قَالَ أَخَرْتُمَا لِتُغْرَقَ أَفَلَمْ تَلْقَا لَقْمِيَّتَ شَيْئًا أَمْرًا﴾، أي: فأعقب تلك المحاورة أنهما انطلقا، والانطلاق: الذهاب والمشي، ووضح صفة هذا الانطلاق الحديث الصحيح في قصة موسى والخضر الذي سبق إيراد بعضه، وفيه: «فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهم أن يحملوهما، فعرف الخضر فحملوهما بغير نول - أجرة ومقابل -، فجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر

نقرة أو نقرتين في البحر، فقال الخضر: ياموسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر، فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة، فزرعه، فقال موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟ قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا - فكانت الأولى من موسى نسيانا -». [صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء - باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام، حديث 3220].

وعرفت ﴿السَّيِّئَةِ﴾ بالآلف واللام تعريف الجنس لا لعهد عينها. وقيل: لتعريف الجنس لأنه لم يتقدم عهد في سفينة مخصوصة. فلما ركبا في السفينة عمد الخضر إلى وتد فجعل يضرب في جنب السفينة، حتى قلع به فيما روي لوحين من ألواحها، فذلك هو معنى ﴿خَرَقَهَا﴾. أي: أحدث فيها خرقا وشقا ظاهرا للعيان تقتحمها العين وتزدرىها بسببه. فلما رأى ذلك موسى غلبه ظاهر الأمر على الكلام حين رأى فعلا يؤدي إلى غرق جميع من في السفينة، فوقفه بقوله ﴿أَخَرَفْتَهَا﴾. وقوله: ﴿أَخَرَفْتَهَا لِتُغْرَقَ أَفْلَقَا﴾ هذا أول اعتراض من موسى على الخضر، والاستفهام للإنكار، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ﴿لِتُغْرَقَ أَفْلَقَا﴾ بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي «لِيُغْرَقَ أَهْلُهَا» برفع «الأهل»، وإسناد الفعل إليهم، وقرأ أبو رجاء «لَتُغْرَقَ» بالتاء وفتح الغين وشد الراء.

قال القرطبي رحمه الله: «فاللام على قراءة الجماعة في ﴿لِتُغْرَقَ﴾ لام المأل - العاقبة - مثل: ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوٌّ وَآمِرٌ﴾ [القصص: 7]، وعلى قراءة حمزة لام كي - التعليل -». [الجامع لأحكام القرآن: 6 / 15].

ولم يقل موسى عليه السلام: لتغرقني، لأن الذي غلب عليه في الحال فرط الشفقة عليهم، ومراعاة حقهم.

و«الإمر» الشنيع القبيح من الأمور، كالداهية والإد، وأصله: كُلُّ شَيْءٍ شَدِيدٌ كَثِيرٌ، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْقَوْمِ: قَدْ أَمِرُوا، إِذَا كَثُرُوا وَاشْتَدَّ أَمْرُهُمْ، ومنه قول أبي سفيان في حديث هرقل الطويل: «أمر أمر ابن أبي كبشة»، وقال مجاهد: «الإمر» المنكر. وقال قتادة: عجا. والمعنى: لقد ارتكبت شيئا عظيما وأمرانا منكرا.

وقوله: ﴿قَالَ أَلَمْ أَفْلَحْ إِنَّمَا لَرْتَسْتَكْصِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ فتنبه موسى لما أتى معه فاعتذر بالنسيان، وذلك أنه نسي العهد الذي كان بينهما، هذا قول الجمهور، وفي كتاب التفسير من صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كانت الأولى من موسى نسيانا»، وفيه عن مجاهد أنه قال: «كانت الأولى نسيانا، والثانية شرطا، والثالثة عمدا. قال ابن عطية: ومعنى هذا القول صحيح، والطبري لم يبينه، ووجهه عندي أن موسى - عليه السلام - إنما رأى العهد في أن يسأل، ولم ير إنكار هذا الفعل الشنيع سؤالا بل رآه واجبا، فلما رأى الخضر قد أخذ العهد على أعم وجوهه فضمنه السؤال والمعارضة والإنكار وكل اعتراض؛ إذ السؤال أخف من هذه كلها، أخذ معه في باب المعارض، التي هي مندوحة عن الكذب، فقال له: لا تؤاخذني بما نسيت ولم يقل له: إني نسيت العهد، بل قال لفظا يعطي للمتأول أنه نسي العهد، ويستقيم أيضا تأويله وطلبه، مع أنه لم ينس العهد؛ لأن قوله: لا تؤاخذني بما نسيت كلام جيد طلبه، وليس فيه للعهد ذكر هل نسيه أم لا؟ وفيه تعريض أنه نسي العهد، فجمع في هذا اللفظ بين العذر والصدق، وما يخل بهذا القول إلا أن الذي قاله، وهو أبي بن كعب، روى عن النبي ﷺ أنه قال: «كانت الأولى من موسى نسيانا».

[صحيح البخاري: كتاب الإيمان والنذور - باب إذا حنث ناسيا في الإيمان، حديث 6295].

وقوله: ﴿وَلَا تُرْفَعْنِي﴾ معناه: لا تكلفني وتضيق علي، ﴿مَعَ أَمْرِي﴾ وَهُوَ اتِّبَاعُكَ ﴿عُسْرًا﴾ أَيُّ: شَيْئًا صَعْبًا، بَلْ سَهَّلْ عَلَيَّ فِي مُتَابَعَتِكَ بِتَرْكِ الْمُنَاقَشَةِ، وكأنه قال له: عاملني باليسر لا بالعسر.

#### رابعاً: لطائف وفوائد:

- قال الإمام ابن العربي رحمه الله في قول الخضر لموسى: ﴿إِنَّمَا لَرْتَسْتَكْصِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾: «حكم عليه بعادة الخلق في عدم الصبر عما يخرج من الاعتیاد، وهو أصل في الحكم بالعادة». [أحكام القرآن: 3 / 240]. يعني: أن في الآية دليلاً على إعمال العادة في الأحكام، وهو الذي صاغه الفقهاء في قاعدة متفق عليها بين المذاهب هي قولهم: «العادة محكمة».

- قال الفخر الرازي رحمه الله: «في قول موسى للخضر: ﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَأَمْرًا﴾ تواضع شديد وإظهار للتحمل التام والتواضع الشديد، وكل ذلك يدل على أن الواجب على المتعلم إظهار التواضع بأقصى الغايات». [مفاتيح الغيب: 21 / 484].

- في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى اقْلَبْ أَتَيْعَدُ﴾: في هذا دليل على التواضع للعالم، وفي هذه القصة دليل على الحث على الرحلة في طلب العلم وعلى حسن التلطف والاستئذان والأدب في طلب العلم. [البحر المحيط: 7 / 205].

### التقويم

- 1- ما القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿لَتَغْرَقَ﴾؟ وما نوع اللام على كل قراءة؟
- 2- بم علل الخضر عليه السلام جزمه بعدم قدرة موسى على الصبر؟
- 3- لم عدل موسى عليه السلام عن قوله: «لتغرقني» أو «لتغرقنا» إلى قوله: ﴿لَتَغْرَقَ أَقْلَقًا﴾؟ وما القيمة التي تستفاد من ذلك؟

### الاستثمار

قال العلامة الطاهر ابن عاشور رحمه الله: «وفي تأكيد ذلك بالتعليق على مشيئة الله - استعانة به وحرصا على تقدم التيسير تأدبا مع الله - إيذان بأن الصبر والطاعة من المتعلم الذي له شيء من العلم، أعسرُ من صبر وطاعة غير المتعلم؛ لأن خلو ذهنه من العلم لا يخرجه من مشاهدة الغرائب؛ إذ ليس في ذهنه من المعارف ما يعارض قبولها، فالمتعلم الذي له نصيب من العلم، وجاء طالبا الكمال في علومه، إذا بدا له من علوم أستاذه ما يخالف ما تقرر في علمه، يبادر إلى الاعتراض والمنازعة...».

[التحرير والتنوير: 15 / 373 بتصرف.]

أقرأ النص جيدا ثم أجب عن الآتي:

- 1- أوضِّحُ المراد بقوله: «وفي تأكيد ذلك بالتعليق على مشيئة الله...» وبم يسمي العلماء ذلك؟
- 2- أبين أثر الصبر في تحقيق الأهداف.
- 3- أبرز فضل طلب العلم وآثار الاجتهاد في تحصيله.
- 4- أبحث في كتب آداب العلم عن آداب العالم والمتعلم.

## الإعداد القبلي

أراجع تفسير الآيات: 73 - 77 من سورة الكهف وأجيب عن الآتي:

- 1- ما القراءات الواردة في كلمة: ﴿زَكِيَّةٌ﴾؟
- 2- ما الأسلوب البلاغي في قوله تعالى: ﴿جَدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَّ﴾؟
- 3- أبحث عن مدلولات الكلمات الآتية: زَكِيَّةٌ - نُكْرًا - يَنْفَضُّ.